اتخاذ القرارات بالأكثرية ضمن الاطر الجبهوية. ولكن، بدلاً من ذلك، يظهر جلياً ان الحديث حول «التوحيد» و «الوحدة الوطنية» و «الاصطفاف (اصطلاح جديد ؟) الوطني» يدور، كله، ومن قبل الجميع، حول العودة الى نظام فلسطيني، يسمى، تجاوزاً، «ثورة»، واساليب وانماط عمل لا تختلف كثيراً عن تلك التي عهدناها في الماضي ـ وثبتت قلة نجاعتها.

والانكى من ذلك، ان هذا التحجر، على ما يؤدي اليه من اضرار، لا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه، في تصميم غريب، للسير على النهج ذاته، بل وتوسيع نطاقه، بشكل يثير الاستغراب. فالمنظمات الصغيرة لا تسعى، مثلاً، الى توحيد قواها، او قوى تلك القريبة من بعضها البعض، كأن تقيم جبهات مربعة، او مكعبة، مما قد يكسبها قوة ونفوذاً اكثر يمكنها من تحقيق اهدافها، على طريقتها، خصوصاً وان منطلقاتها «الفكرية» تكاد تكون واحدة ـ فهذه العصا من تلك العصية ـ بل انها تعمل على «اعتماد» أخرى صغيرة، وحتى اكثر قزمية منها، في اتجاه يؤدي، بالمحصلة، الى مزيد من التفتت والتشرذم، يحلو لبعضهم ان يسميه «تعددية»، ولكن يمكن، ايضاً، ان يسمى «فوضوية». فخلال المشاورات والنشاطات التي أجريت قبيل انعقاد المجلس الوطني في دورته السابقة، في عمّان، «نجح» الجميع في التمهيد لاعتماد «فصيل» جديد، هو «الشيوعي»، ثم كرسوا نجاحهم وثبتوه خلال الدورة الاخيرة للمجلس، رغم ان اولئك منقسمون على انفسهم، ولكل جناح في المقاومة «شيوعيوه» قليلو العدد، في اتجاه ادى الى تعميق الشقاق بينهم، أيضاً.

اما خلال الاعداد لعقد الدورة الاخيرة للمجلس، فقد حدث ما هو أخطر من ذلك، حيث لم تتورع المنظمات الصغيرة، وعلى رأسها الجبهتان الشعبية والديمقراطية، وكما يبدو في محاولة لزيادة عدد تلك التنظيمات، وبالتالي منحها «وزناً» اكثر، من احضار مجرمين وقتلة معهم الى «الحوار»، تمهيداً للـ «وحدة». فما سُمي «وثيقة طرابلس» تحمل تواقيع ست منظمات، من بينها واحدة تسمى «فتح ـ المجلس الثوري». وهذا الاسم، كما هو معروف، تطلقه على نفسها مجموعة السفاحين المعتوهين المعروفة اكثر بأسم «جماعة ابو نضال»، سيئة الصيت والسمعة. بل ان تلك المنظمات طالبت، في مناسبة اخرى، بالاعتراف بما سمته «حق» ـ كذا ! ـ كل تنظيم في التمثيل، بما في ذلك «الانتفاضة»، اي شلة ابو موسى. واذا كان الامر كذلك، فلماذا لا يشمل هذا العطف ابو الزعيم ايضاً؟ بل اذا كان الحديث يدور حول «توحيد» المنظمة، والمساعي تبذل من اجل ذلك، فأين باقي المنظمات ؟ اين طلائع حرب التحرير الشعبية ـ قوات الصاعقة، والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، وجبهة النضال الشعبي، وغيرها؟ وان كان هنالك «توحيد»، فلماذا لا يشمل الجميع، حتى تكون «السَلَطة» كاملة النكهة ؟ ومن هو ذاك الذي أفتى بأن عودة المجموعات الشعبوقراطية (تعبير مشتق من كلمتي «شعبية» و «ديمقراطية») تكفي لأن تسمى «وحدة» و «توحيداً» وعملاً «مهماً» للغاية، بينما وضع هذه المجموعات انفسها خارج الاطر المتعارف عليها تصبح عملاً مريعاً ينبغي تلافيه، بأي ثمن تقريباً؟

ان ظاهرة التعامل، مجدداً، مع عصابة ابو نضال من قبل «الفصائل» الاخرى ليست مما ينبغي المرور عليها بسكوت، اذ انها تمس ما يمكن تسميته اخلاقية، او مصداقية، العمل الفلسطيني بأسره، وتضع أُسساً لـ «قيم» جديدة (او ربما تقدم عينة منها فقط ؟). والدرس الذي يمكن استنتاجه من ذلك هو انك مهما ارتكبت من جرائم لن توضع في نهاية المطاف خارج الاطر أبداً، من جهة، وكلما امعنت في المشاكسة والعناد ازدادت «قيمتك»، من جهة ثانية، واذا كنت منضبطاً ومستقيماً نُسيت، من جهة اخيرة. وما ينجم عن ذلك من تشويه للقيم، وقلبها رأساً على عقب، على ما يسببه ذلك من مس المعنويات، يتحول، اخيراً، الى اشمئزاز قد يؤدي الى الاحباط، واضح للغاية.

واذا كان المرء يشعر بالاستغراب تجاه تلك المنظمات المستيسرة، التي يفترض ان تكون «محترمة»